للتقدم وردم الهوة التكنولوجية والعلمية القائمة حاليا بشكل يحرم اسرائيل من أهم عوامل تفوقها العسكري على العرب ، وان الاحتفاظ بالمناطق والحدود الآمنة لا يضمن الامن في ظروف الحرب الحديثة والاسلحة المتطورة بعيدة المدى ، ولكنه يشكل على العكس دافعا لاندلاع حروب جديدة لا تنتهي .

ولكن هذه الانتقادات لم تلق أذنا صاغية ، وبقي تأثير الجنرالات واسعا ، وتابع الثلاثي مائير — غاليلي — دايان رسم خططهم العدوانية **متجاهلين مسار التطورات المحلية والعالمية** . ولقد أجاد يهوشفاط هركابي في تصوير خلفيات السياسة الاسرائيلية بقوله : « بعد حرب الايام الستة تولد في اسرائيل انطباع خاطىء ، وكأنه بدأت فترة جديدة يكون الصراع السياسي فيها بين الاطراف بمثابة مساومة على شروط تسوية النزاع وشروط التسوية السياسية ، وكان السجال في الواقع مباراة حول من ستلقى عليه مسؤولية استمرار النزاع ومن سيندد به بسببه »(٣٢) . وكان من الطبيعي ان ينجم عن هذه الخلفية ، وعن السياسة التي جسدتها وضع نفسي عام وصفه الجنرال أندريه بوفر بقوله : « عانت اسرائيل من داء ، هو داء طبيعي عانينا منه جميعا غداة الحرب العالمية الثانية ، وهو داء المنتصرين الذين يظنون ان الاقدار في صفهم ، وان كل شيء قد أصبح ميسرا لهم » ... « وقد ارتاح الاسرائيليون الى هذا الشعور فلم يحسنوا التمييز بين الوضع الحالي والوضع السابق »(٣٣) . **في هذا الوضع « المرضي » ، وبسبب هذا الوضع بالذات فوجيء الاسرائيليون — قيادة وشعبا — وهم في سراويلهم الداخلية .**

المسؤولية !

يقول المثل الفرنسي « الهزيمة يتيمة ولكن النصر له الف أب » . ولكن الشعب الاسرائيلي الذي دفن قتلاه الذين فاق عددهم كل تصوراته ، وبدأ يضمد جراحه النازفة اخذ يبحث خلال الحرب وبعد وقف القتال عن أب لهزيمة التدابير الامنية التي أدت الى وقوع المفاجأة . وأشارت أصابع الاتهام منذ البداية الى ثلاثة اتجاهات : دايان وهيئة أركانه ، الاستخبارات ، الدولة ككل . وتشكلت لجنة « أجرانات » لتحديد الخطأ والمسؤولية .

ولقد بدأ وزير خارجية العدو أبا ايبان الهجوم على دايان غداة اندلاع الحرب ، وأعلن في لوس انجلوس « ان دايان يتحمل مسؤولية فشل اسرائيل في سيناء ، واننا كنا نعيش في وهم الدولة القوية منذ عام ١٩٦٧ » . وما ان وضعت الحرب أوزارها حتى توالت الانتقادات الموجهة الى وزير الدفاع ، وكتب البروفيسور آمنون روبنشتاين عميد كلية الحقوق في جامعة تل أبيب : « ان وزير الدفاع يتحمل مسؤولية كبيرة عن اكبر فشل عرفته اسرائيل في تاريخها . ان كلمة تقصير — كلمة مخيفة ولا معنى لها — لا تلخص فشله . والكلمة الملائمة اكثر هي اهمال كبير ، فلقد أهمل المهمة التي كلف بها : تحمل مسؤولية أمن اسرائيل . لقد أهمل الجيش ولم يهتم بمشكلاته الحيوية . ان كل تنبؤاته المتكررة لم تنفعه وقت الضيق . وعلى العكس فقد أخطأ بصورة مستمرة ، وأدى خطؤه الاساسي — اعوام طويلة من الهدوء في الاوضاع العامة — الى تنويم الجيش والدولة بكاملها . انه لم يعد نفسه ولم يجهز الجيش للحرب . اما الثمن الذي دفعناه مقابل هذا الخطأ فهو اكبر من ان نستطيع وصفه »(٣٤) .

ولقد انبرى دايان للدفاع عن نفسه وتخفيف حجم الخطأ الذي ارتكبه في اليوم الرابع للحرب ، عندما صرح أمام رؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية : « هناك أمر واحد مؤكد لم يتم كما كنت أعتقد : قدرتنا على وقف بناء الجسور على القناة . كانت لنا نظرية حول هذا الامر . ولعلي أقول ان نظريتي كانت تتمثل في أنهم سيضطرون الى العمل ليلة كاملة لاقامة جسور . ونستطيع منعهم بواسطة مدرعاتنا . واتضح انه بمساعدة جميع